

## الدعاء في الشرائع السماوية



ما هو الدعاء؟ الدعاء في اللغة: النداء، ودعاء العبد ربّه: أنّ يناديه لطلب أو لقربة. قال سبحانه: (وَاصْبِرْ رَفْسَكَ مَعَ الْمُذْنِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاءِ وَالْعَشَيْرِ يُرْيِدُونَ وَجْهَهُ) (الكهف/ 28)، وقال: (أَمْنٌ يُحِبُّ الْمُهْطَرَ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ) (النمل/ 62). وفي هذه الآيات وغيرها ورد الدعاء بمعنى النداء، وكذا في الروايات، وليس معناه (الطلب) كما يتباادر إلى الأذهان اليوم.

الدعاء مخ العبادة: قال تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّةَ وَالإِنْسَنَ لِيَعْبُدُونَ) (الذاريات/ 56). فمن أهم فصول العبادة الدعاء. يؤكّد ذلك قوله سبحانه: (قُلْ مَا يَعْبُدُ أُنْكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاءً أُكُمْ) (الفرقان/ 77). ولعلّ الشريعة أقرّت الدعاء من أجل أن يرتبط العبد بربه، ويستمدّ منه حواجه في كلّ الأحوال ويدركه دائمًا. وهذا نوع من العبادة، والرسول (ص) يقول: "الدعاء مُخ العبادة".

والقرآن الكريم سمى الدعاء عبادة، حيث قال: (وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الْمُذْنِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنِ الْعِبَادَةِ تَرْسِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَآخِرِينَ) (غافر/ 60)، والعبادة في الآية هي الدعاء، كما ورد في تفسيرها عن رسول الله (ص) وعن الإمام زين العابدين (ع). عن زرارة عن الإمام الباقر (ع) قال: إنّ الله عزّ وجلّ يقول: (إِنَّ الْمُذْنِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنِ الْعِبَادَةِ تَرْسِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَآخِرِينَ)، قال: هو الدعاء، وأفضل العبادة الدعاء. قلت: (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوْاهَ دَآخِرِينَ)،

حَلِيمٌ) (التوبة/ 114)، قال: الأوّاه هو الدعاء[1]. يقول الصادق (ع): قال النبي (ص): أفضل عبادة أمتي بعد قراءة القرآن، الدعاء. ثم قرأ: (وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِيبُ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ دِينِهِمْ بِرُّهُمْ وَنَحْنُ عَنْ دِينِهِمْ بِرُّهُمْ وَنَحْنُ أَنَا أَنْتَمْ دَاخِرِينَ)، أَلَا ترى أنَّ الدعاء هو العبادة!.

تعاليم في صحف موسى (ع): في الصحيفة الخامسة من صحف موسى الأربعين: يا بني آدم، ما خلقتم لأستكثر بكم من قـلـةـةـ، ولا لـأـسـتـأـنـسـ بـكـمـ منـ وـحـشـةـ، ولا لـأـسـتـعـيـنـ بـكـمـ عـلـىـ أـمـرـ عـجـزـتـ عـنـهـ، ولا لـمـنـفـعـةـ ولا لـدـفـعـ مـصـيـبـةـ؛ بل خـلـقـتـكـمـ لـتـعـبـدـونـيـ كـثـيرـاـ، وـتـشـكـرـونـيـ طـوـيـلاـ، وـتـسـبـ حـوـنـيـ بـكـرـةـ وـأـصـيـلـاـ. فـلـوـ اـجـتـمـعـ أـوـلـكـمـ وـآـخـرـكـمـ، وـكـبـيرـكـمـ وـصـغـيرـكـمـ، وـإـنـسـكـمـ وـجـنـدـكـمـ، وـحـيـكـمـ وـمـيـكـمـ، عـلـىـ طـاعـتـيـ؛ لـمـ يـزـدـدـ فـيـ مـلـكـيـ مـثـقـالـ ذـرـةـ، وـلـوـ اـجـتـمـعـتـ كـذـلـكـ عـلـىـ مـعـصـيـتـيـ، لـمـ يـنـقـصـ فـيـ مـلـكـيـ مـثـقـالـ ذـرـةـ. وفي الصحيفة 29 من صحف موسى (ع)، يقول تبارك وتعالى: "يا بن آدم، إنما أنت ثلاثة أقسام: واحد لي، واحد لك، واحد بيبي وبينك. فأمّا الذي لي، فروحك، وأاما الذي لك، فعملك. وأمّا الذي بيبي وبينك، فمنك الدعاء، ومذمي الإجابة".

الدعـاءـ سـلاحـ المؤمنـ: إذاـ فالـدـعـاءـ نوعـ منـ الـعـبـادـةـ وـالـارـتـبـاطـ بـيـنـ الـعـبـدـ وـرـبـهـ، وـهـذاـ الـارـتـبـاطـ لـهـ الأـثـرـ الكـبـيرـ فـيـ بـثـ رـوحـ الطـمـانـيـنـةـ فـيـ نـفـسـ الإـنـسـانـ. وأـولـئـكـ الـمـحـرـومـوـنـ مـنـ نـعـمةـ هـذـهـ الـعـبـادـةـ فـاـقـدـوـنـ لـسـنـدـ عـظـيمـ وـعـوـنـ كـبـيرـ فـيـ مـوـاجـهـةـ الـمـشـاـكـلـ، فـهـمـ كـمـنـ هـوـ فـيـ الـهـيـجاـ بـغـيـرـ سـلاحـ. يقول

رسـولـ اـمـ (صـ): "الـدـعـاءـ سـلاحـ الـمـؤـمـنـ"[2]. ويـقـولـ أـمـيرـ الـمـؤـمـنـيـنـ (عـ): "الـدـعـاءـ تـرـسـ الـمـؤـمـنـ"[3]. ويـقـولـ الـإـمـامـ عـلـيـ الرـضـاـ (عـ) لـأـصـحـابـهـ: "عـلـيـكـمـ بـسـلاحـ الـأـنـبـيـاءـ. فـقـيلـ: وـمـاـ سـلاحـ الـأـنـبـيـاءـ؟ قـالـ: الـدـعـاءـ"[4]. وـرـوـيـ عـنـ رـسـولـ اـمـ (صـ) قـولـهـ: "أـلـاـ أـدـلـكـمـ عـلـىـ سـلاحـ يـنـجـيـكـمـ مـنـ عـدـوـكـمـ، وـيـدـرـ رـزـقـكـمـ؟ قـالـواـ: نـعـمـ. قـالـ: تـدـعـونـ بـالـلـيـلـ وـالـنـهـارـ، فـإـنـ سـلاحـ الـمـؤـمـنـ الـدـعـاءـ"[5]. ويـقـولـ الـإـمـامـ عـلـيـ (عـ): "ادـفـعـواـ أـمـواـجـ الـبـلـاءـ بـالـدـعـاءـ"[6]. لوـ أـمـعـنـاـ النـظرـ فـيـ هـذـهـ الـأـحـادـيـثـ وـأـمـثـالـهـاـ، لـأـلـفـيـنـاـ أـنـ الدـعـاءـ لـهـ أـثـرـ نـفـسـيـ عـظـيمـ، سـوـاءـ أـطـلـبـ الـإـنـسـانـ فـيـ دـعـائـهـ مـنـ اـمـ شـيـئـاـً أـمـ لـمـ يـطـلـبـ. وـهـذـهـ حـقـيـقـةـ فـهـمـهاـ عـلـمـاءـ الـنـفـسـ الـيـوـمـ بـوـضـوـحـ، وـكـتـبـواـ حـوـلـهـاـ الـمـقـالـاتـ وـالـبـحـوثـ الـقـائـمـةـ عـلـىـ أـسـاسـ الـإـحـصـائـيـاتـ الـتـيـ دـلـلـتـ هـذـهـ الـإـحـصـائـيـاتـ عـلـىـ أـنـ الـذـينـ يـعـيـشـونـ عـالـمـ الـدـعـاءـ وـالـأـذـصالـ بـاـمـ قـلـمـاـ يـعـتـرـيـهـمـ الـيـأسـ وـالـسـأـمـ، وـقـلـمـاـ يـهـزـمـونـ أـمـامـ الـحـوـادـثـ الـمـؤـلـمـةـ، وـقـلـمـاـ يـفـقـدـونـ الـآـمـالـ بـالـمـسـتـقـبـلـ. هـذـهـ الـحـقـيـقـةـ قـرـرـهـاـ الـإـمـامـ الـبـاقـرـ (عـ) فـيـ حـدـيـثـ مـخـاطـبـاـ بـهـ أـحـدـ أـصـحـابـهـ، قـالـ: أـلـاـ أـخـبـرـكـ بـمـاـ فـيـهـ شـفـاءـ مـنـ كـلـ دـاءـ حتـىـ السـامـ؟ قـالـ: بـلـىـ. قـالـ: الـدـعـاءـ.

فضلـ الدـعـاءـ وـالـحـثـ عـلـيـهـ: قـالـ تعـالـىـ (وـإـذـاـ سـأـلـكـ عـبـادـيـ عـنـدـيـ فـإـنـّـيـ قـرـبـ أـجـبـ دـعـوـةـ الدـاعـ إـذـاـ دـعـانـ فـلـيـسـتـجـبـيـبـوـاـ لـيـ وـلـيـؤـمـنـوـاـ بـيـ لـعـلـهـمـ بـرـشـدـوـنـ) (الـبـقـرـةـ/ 186). وـقـالـ النـبـيـ (صـ): "عـمـلـ الـبـرـ كـلـهـ: نـصـفـ الـعـبـادـةـ، وـالـدـعـاءـ نـصـفـ"[7]. وـقـالـ أـمـيرـ

المؤمنين (ع) في وصيّته لابنه الحسن (ع): "واعلم أنَّ الذي بيده خزائن السماوات والأرض قد أذن لك في الدعاء، وتکفِّل لك بالإجابة، وأمرك أن تأسّله ليعطيك، وتسترحمه ليرحّمك[8]..."

وقال (ع): "ما كان إِنْ ليفتح على عبد باب الشكر ويغلق عنه باب الزيادة، ولا ليفتح على عبد الدعاء ويغلق عنه باب الإجابة"[9]. وقال الإمام الباقر (ع): "ما من شيء أحبٌ إلى إِنْ من أن يُسأَل"[10]. وفي الحديث القديسي، يقول تعالى: "يا موسى! سلني كلَّ ما تحتاج إليه؛ حتى علف شاتك، وملح عجينك"[11]. وقال النبي (ص): "ليسأل أحدكم ربَّه حاجته، حتى يسأل الملح، وحتى يسأل شمع نعله"[12]. - أفضل أوقات الدعاء: فإذا أراد الإنسان أن ينجو من مكائد الشيطان ويتدخّل سبيلاً، عليه أن يكثر من ذكر إِنْ تعالى، وأن يدعوا إِنْ للتخلاص من كيد الشيطان ومكره، في مواطن يستجاب فيها الدعاء. فعن أبي عبد الله (ع): "يستجاب الدعاء في أربعة مواطن: في الوتر، وبعد الفجر، وبعد الظهر، وبعد المغرب. وقد قال (ص): وخير وقت دعوتم إِنْ عزَّ وجلَّ فيه: الأسحار". وعن علي بن إبراهيم عن أبيه عن أبي عمير عن محمد بن أذينة قال: "سمعت أبي عبد الله (ع) يقول: إنَّ في الليل لساعة ما يوافقها عبدٌ مسلم ثم يصلّي ويدعو إِنْ عزَّ وجلَّ إلا استجاب له في كلِّ ليلة. قلت: أصلحك إِنْ، وأيَّ ساعة هي من اللَّا يُلْعَلِّ؟ قال: إذا مضى نصف اللَّا يُلْعَلِّ، وهو السادس الأوَّل من أوَّل النصف". - استجابة الدعاء: وقد أمر إِنْ سبحانه أنه يدعوه تضرّعاً وخفية في كلِّ وقت، ووعدهم بالإجابة، فقال: (ادْعُوا رَبَّكُمْ تَهَبَرُّ عَمَّا وَخُفِيَّةً) (الأعراف/55). لكنَّ لاستجابة الدعاء شروط ومتطلقات. يقول النبي (ص): "لَتَأْمَرُنَّ بالمعروف ولتنهونَ عن المنكر، أو لَيُسْلِطُنَّ إِنْ شراركم على خياركم، فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم"[13]. وروي أنَّ موسى (ع) رأى رجلاً يتضرّع تضرّعاً عظيماً، ويدعو رافعاً يديه ويبيتله. فأوحى إِنْ تعالى إلى موسى (ع): لو فعل كذا وكذا لما استجيب دعاؤه؛ لأنَّ في بطنه حراماً، وعلى ظهره حراماً، وفي بيته حراماً[14]. وروي في زبور داود (ع): يقول إِنْ تعالى: "يا بن آدم، تسأّلني وأمنعك لعلمي بما ينفعك. ثمَّ تلْحُّ عليَّ بالمسألة فأعطيك ما سأّلت، فتستعين به على معصيتي، فأهْمُ بهتك سترك، فتدعوني فأستر عليك. فكم من جميلٍ أصنع معك! وكم من قبيح تصنع معي! يوشك أن أغضب عليك غصبة لا أرضي بعدها أبداً"[15]. وقال الإمام علي (ع) "لنوف البكالي": يا نوف، إنَّ داود (ع) قام في مثل هذه الساعة من اللَّا يُلْعَلِّ، فقال: إنها ساعة لا يدعو فيها عد إلا استجيب له، إِلا أن يكون عشَّاراً (هو صاحب الكوس الذي يأخذ ألعشار المال)، أو عريفاً، أو شرطيَاً، أو صاحب عُرْطبة (وهي الطنبور)، أو صاحب كوبة، (وهي الطبل أو الدركة)"[16]. - الدعاء نبراس الأنبياء: كان الدعاء الملجأ الهامُ للأنبياء والأولياء في المواقف الصعبة والحالات الحرجة. وقد استعمله الأنبياء والصالحون منذ آدم (ع). وقد ذكر القرآن منه نماذج كثيرة. منها: قوله عن آدم

وحواء (ع): (وَالْأَلْرَبَسَنَةَ لَهُمْ نَدَاءٌ أَزْفَسَنَةَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَهُمْ وَتَرْهَمْ نَدَاءَ لَهُمْ كُونَنَةَ مِنَ الْخَاسِرِينَ) (الأعراف/ 23). ومنها: قوله عن نوح (ع): (وَقَالَ نُوحٌ رَبِّي لَا تَذَرْ عَالَمَ الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيْنَارًا) (نوح/ 26)، (وَنُوحَ إِذْ زَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَاهُ لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَارِبِ الْعَظِيمِ \* وَنَصَرْ زَاهُ مِنَ الْفَوْمِ الْذَّيْنَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ) (الأنبياء/ 77-76). ومنها: قوله عن إبراهيم (ع): (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّي اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنَةَا وَاجْنُبْنَاهُ وَبَنَاهُ أَنْ زَعْبُدَ الْأَصْنَامَ) (إبراهيم/ 35)... إلى قوله: (رَبِّي اجْعَلْنَاهُ مُقْبِلَ الصَّلاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبِّنَا وَتَقْبَلْ دُعَائِي \* رَبِّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيِّ وَلِلِّمْؤُمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ) (إبراهيم/ 41-40).

ومنها: قوله عن أيوب (ع): (وَأَيُّوبَ إِذْ زَادَى رَبِّهُ أَنَّهُ مَسَنَدِي الصُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ \* فَاسْتَجَبْنَاهُ فَكَشَفْنَاهُ مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمَثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عَنْدِنَا وَذَكْرَى لَتُعَاَبِدِينَ) (الأنبياء/ 84-83). ومنها: قوله عن يونس (ع): (وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَانَ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظَّلَّمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنَّكَ كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ \* فَاسْتَجَبْنَاهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْفَمِ وَكَذَلِكَ زُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ) (الأنبياء/ 87-88). ومنها: قوله عن زكريا (ع): (كَهِيعَصْ ذَكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا \* إِذْ زَادَى رَبِّهُ نِدَاءَ خَفِيَّا \* قَالَ رَبِّي إِنَّهُنَّ الْعَظِيمُ مِنْيَ وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّي شَفَقِيَّا) (مريم/ 1-4)، (هُنَالِكَ دَعَاهَا زَكَرِيَّا رَبِّهُ قَالَ رَبِّي هَبْ لَيِّ مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ) (آل عمران/ 38)، (وَزَكَرِيَّا إِذْ زَادَى رَبِّهُ رَبِّي لَا تَذَرْنِي فَرِدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ \* فَاسْتَجَبْنَاهُ لَهُ وَهَبْنَاهُ لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَاهُ لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبَّا وَكَانُوا لَهُمْ خَائِشِينَ) (الأنبياء/ 89-90). -

نماذج لبعض الأدعية: دعاء يوسف (ع) في الجب: "يَا عَدَّتِي فِي شَدَّتِي، وَيَا مُؤْنسِي فِي وَحْشَتِي، وَيَا رَاحِمَ غَربَتِي، وَيَا كَاشِفَ كَرْبَتِي، وَيَا مَجِيبَ دَعْوَتِي، وَيَا إِلَهِي وَإِلَهِ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ؛ ارْحَمْ صَفَرَ سَدَّيِ، وَضَعَفَ رَكْبَتِي، وَقَلَّةَ حِيلَتِي، يَا حِيَّ يَا قِيَومَ، يَا ذَا الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ" [17]. دعاء النبي

(م) يوم بدر، وهو من دعاء الحسين (ع) أيضاً قبيل استشهاده: "اللّٰهُمَّ أنت شفتي في كل كرب، وأنت رجائي في كل شدة، وأنت لي في كل أمر نزل بي ثقة وعدة. كم من كرب يضعف عنه الفؤاد، وتقل فيه الحيلة، ويخذل فيه القريب، ويشمت به العدو، وتُعييني فيه الأمور؛ أنزلتُكَ وشكوته إليك، راغباً فيه إليك عَمَّن سواك، ففرّ جته وكشفته عنِّي وكفيتَنِي، فأنت ولِي كل نعمة، وصاحب كل حاجة، ومنتهاي كل رغبة" [18]. دعاء الصادق (ع) لمَا استدعاه لمنصور ليقتله: "حسبيَ الرَّبُّ مِنَ الْمَرْبُوبِينَ، حسبيَ الْخَالقُ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ، حسبيَ الرَّازِقُ مِنَ الْمَرْزُوقِينَ، حسبيَ إِنَّ رَبَّ الْعَالَمِينَ، حسبيَ مَنْ هُوَ حسبي، حسبيَ مَنْ لَمْ يَزِلْ حسبي، حسبيَ إِنَّ لِلَّهِ إِلَّا هُوَ، عَلَيْهِ تَوْكِيدُّ، وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، اللّٰهُمَّ احرسني بعينك التي لا تنام، واكفني بركنك الذي لا يرام... اللّٰهُمَّ إِنِّي أَدْرَاكَ فِي نَحْرِهِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ" [19]. \*

كاتب وباحث إسلامي، ومدير كلية الشريعة في الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية في لندن/ فرع سوريا الهوا مش:

- [1]- الريشهري، محمد، ميزان الحكمة 3: 245.
- [2]- الكُلَّيْنِي، محمد بن يعقوب، الكافي 2: 468، باب: أن الدعاء سلاح المؤمن، الحديث: (1)، تصحيف وتعليق على أكبر غفارى، الطبعة الثالثة 1367هـ، دار الكتب الإسلامية، طهران.
- [3]- المصدر نفسه، الحديث 4.
- [4]- المصدر نفسه، الحديث 5.
- [5]- المصدر نفسه، الحديث 3.
- [6]- نهج البلاغة: 433.
- [7]- المتندي، كنز العمال 2: 65.
- [8]- نهج البلاغة، الخطبة 93.
- [9]- نهج البلاغة، 4: 102.
- [10]- المجلسي، بحار الأنوار 7: 141.
- [11]- المصدر نفسه، 93.
- [12]- كنز العمال 3: 65.
- [13]- الطوسي، الأimali 2: 136.
- [14]- الرواندي، الدعوات: ص24.
- [15]- الحلبي، عدّة الداعي: ص198.
- [16]- نهج البلاغة 4: 24.
- [17]- الرازى، التفسير الكبير 32: 192.
- [18]- ابن طاووس، منهج الدعوات: ص87.
- [19]- المصدر نفسه: ص226.